المحاضرة الخامسة: خطوات المنهج العلمي، وتصنيفاته.

1- خطوات المنهج العلمي:

1-1- الملاحظة:

تعتبر الملاحظة من الوسائل التي عرفها الإنسان، واستخدمها في جميع البيانات ومعلوماته عن بيئته ومجتمعه منذ أقدم العصور ولا يزال حتى الآن يستخدمها في حياته اليومية العادية، وفي إدراك وفهم كثير من الظواهر الطبيعية، والاجتماعية والنفسية، التي توجد في بيئته ومجتمعه، وهو كما يستخدمها أيضا في دراساته المقصودة وفي الأبحاث العلمية فهو كباحث يمكن أن يستخدمها في جميع البيانات والحقائق العلمية التي تمكنه من تحديد مشكلة بحثه، ومعرفة عناصرها، وتكوين فروضه، وتحقيق هذه الفروض والتأكد من صحتها، فالباحث يستطيع عن طريق الملاحظة كما يقول "ديوبو لدب فان دالين" أن يجمع الحقائق التي تساعد على تبين المشكلة عن طريق استخدامه الحواس، السمع، والبصر، والشم، والشعور، والتذوق.

1-2- الفرض العلمي:

بصفة بسيطة تعرف الفرضية على أنها إجابة عن تساؤلات الإشكالية، أي أنها تندرج ضمن حركية السؤال جواب في ظل العلاقة الترابطية بين الإشكالية والفرضية.

لكن في الواقع لا تتم الأمور على هذا التصور البسيط، بل تتمثل هذه الإجابة في إيجاد أفق أو آفاق تفسيرية للمشكلة الخصوصية، أي إيجاد عناصر تفسيرية للمشكلة الخصوصية مع الإشكالية....

كما تعني الفرضية أيضا بأنها جملة تعبر عن تخمين أو استنتاج ذكي يتوصل إليه الباحث بعد أن ينتهي من مراجعة الدراسات السابقة ذات الصلة بمشكلة بحثه ويتمسك به بشكل مؤقت حتى نهاية البحث أي إلى أن يتحقق من صحته لقبوله أو رفضه.

ويمكن أن نعرفها أيضا بأنها عبارة عن تصريح (énoncé) يتوقع أو يفترض وجود علاقة بين مستويين أو وجين للظاهرة موضوع الدراسة، يمثل الوجه الأول الظاهرة في ترجمتها غلى مشكلة بحث تم تدقيقها وتخصيصها، أي تم «افتكاكها»، من قبضة الأفكار الشائعة لتصبح مشكلة يمكن دراستها علميا، أما الوجه الثاني فيمثل مستوى نفسر به لماذا برزت هذه الظاهرة وأصبح لها وجود وطابع فعلي.

1-3- التجربة:

إن التجربة تتيح للمجرب من الفرض ما لا تتيحه الملاحظة العابرة فهناك فارق كبير بين ملاحظتنا للبرق يمر خاطفا،وبين ملاحظة باحث لشرر كهربائي يثيره في معمله متى أراد، ويستطيع تكراره ما شاء.

1-4- التعميم:

إن التعميم هو عملية إنسانية شائعة، إذ نحن في حياتنا اليومية نقوم باستخلاص استنتاجات حول واقعنا من كمية محدودة من الخبرة هذا يوفر علينا الجهد، ولكن يمكن أن يخدعنا، لأن تجاربنا قد تكون محدودة جدا وانتقائية.

2- تصنيفات المناهج في العلوم الاجتماعية :

2-1- المنهج التجريبي:

يعتبر المنهج التجريبي التجريبي المنهج النموذج الذي تتطلع إليه جميع العلوم ،وذلك باعتباره المنهج الذي سارت عليه علوم الطبيعة _ على الرغم من وجود ما يُعرف بأزمة المنهج التجريبي خاصة مع الدراسات الميكروفيزيائية أين أصبح تطبيق المنهج التجريبي بخطواته الكلاسيكية يطرح الكثير من العوائق _ حتى حققت هذا التقدم الذي هي عليه الآن ، و القرن التاسع عشر وعندما انفصلت العلوم الاجتماعية عن الفلسفة أصبحت كعلوم قائمة بذاتها نشأت ضرورة ألحاق الظاهرة الاجتماعية بالظاهرة الطبيعية والعضوية حتى تسهل دراستها دراسة علمية دقيقة ووضعية من هنا نشأ تطلع العلوم الاجتماعية والتربوية إلى الأخذ بالمنهج التجريبي.

2-2- المنهج التاريخي:

إن الظاهرة الاجتماعية كالظاهرة التاريخية زمانية في أغلب الأحوال ، إذ ترتبط ارتباطا وثيقا بوقائع المجتمع الماضية ، تأثرت بها في نشأتها ونُموّها ،وبذلك فلا بد للباحث الاجتماعي من الرجوع إلى الماضي لتعقب الظاهرة منذ نشأتها ، والوقوف على عوامل تغيرها وانتقالها من حال إلى حال . وأنسب منهج لتقفي تاريخ ظاهرة ما هو المنهج التاريخي .

يُعرف المنهج التاريخي على أنه "الطريقة التاريخية التي تعمل على تحليل، وتفسير الحوادث التاريخية الماضية كأساس لفهم المشاكل المعاصرة والتنبؤ بما ستكون عليه المستقبل ، ويهدف المنهج التاريخي إلى إعادة بناء الماضي بدراسة الأحداث الماضية مُعتمدا في الأساس على الوثائق ، والأرشيف. ولما كان الحاضر والوضع الراهن لا يُفهم إلا من خلال جذوره التاريخية فإنه لا مناص من دراسة الظاهرة الاجتماعية بالعودة إلى ماضيها وتاريخها وتغيُّرها ،وفي هذه الحالة فإن أنسب منهج يساعد الباحث في دراسة ظاهرته هو المنهج التاريخي.

أخيرا يمكننا القول أن المنهج التاريخي هو منهج علمي يقوم بالبحث في ماضي الظاهرة الاجتماعية من خلال تحليل وتركيب الأحداث ، والوقائع المسجلة في الوثائق بنوعيها المادي والمعنوي بُغية فهمها ، وتفسيرها والوقوف على عللها وإعطاء تفسيرات وتنبؤات علمية في صورة قوانين عامة ثابتة نسبيا .

2-3- المنهج الوصفي :

نظرا لطبيعة الظاهرة الاجتماعية التي تختلف في مكوناتها وخصائصها عن الظاهرة الطبيعية فإنه يتعذر تطبيق المنهج التجريبي عليها ، ومن أكثر المناهـــــج المستخدمة في البحوث الاجتماعية **المنهج الوصفي** ويعرف المنهج الوصفي بأنه " مجمـوع الإجراءات البحثية التي تتكامل لوصف

الظاهرة أو الموضوع اعتمادا على والبيانات ، وتصنيفها ومعالجتها وتحليلها تحليلا كافيا ودقيقا لاستخلاص دلالتها والوصول إلى نتائج أو تعميمات عن الظاهرة.

ويهتم هذا المنهج بوصف الظاهرة وتحليلها ،فعملية الوصف السوسيولوجي لأي ظاهرة في واقعنا الاجتماعي لا تأتي من العدم فهناك معطيات ناتجة عن الوصف الدقيق والمعبر عنه كيفيا وكميا باستخدام مختلف الأدوات لجمع البيانات ،وهذا ما يوفر للباحث قاعدة للبناء ،والتحليل العلمي والموضوعي.

ويهدف المنهج الوصفي إلى وصف الظاهرة محل الدراسة وتشخيصها وإسقاط الضوء على مختلف جوانبها وجمع البيانات اللازمة عنها مع فهمها وتحليلها من أجل الوصول إلى المبادئ والقوانين المتصلة بظواهر الحياة والعمليات الاجتماعية الأساسية والتصرفات الإنسانية.

من خلال ما سبق يتبين لنا أن المنهج الوصفي يعتمد على وصف الظاهرة وصفا علميا موضوعيا .إضافة إلى التحليل ،والتصنيف ،والمعالجة ،والتحليل بغية الوصول إلى نتائج يمكن تعميمها فيما بعد على الظاهرة الاجتماعية

2-4- المسح الاجتماعي:

يُعتبر المسح الاجتماعي من أكثر الأساليب انتشارا وشهرة في دراسة الظواهر الاجتماعية التي يُمكن جمع معلومات وبيانات عنها ، وهو يدخل ضمن الدراسات الوصفية التي تعتبر دراسات مسحية. ويتم اللجوء إلى المسح الاجتماعي عادة لدراسة ظواهر موجودة في الوقت الراهن ويطبق غالبا على مجموعات كبيرة من السكان. (الإحصاء العام للسكان) بغية الحصول مثلا على معلومات حول الأشخاص الذين يقطنون منطقة ما أو بلد ما ،أعمارهم ،مهنهم ، وضعيتهم الاجتماعية من حيث العمل أو البطالة ...الخ

2-5- منهج دراسة حالة:

منهج دراسة حالة من المناهج المُتميّزة ،ويقوم أساسا على الاهتمام بدراسة الوحدات الاجتماعية بصفتها الكلية ثم النظر إلى الجزئيات من حيث علاقتها بالكل الذي يحتويها أي أن منهج دراسة حالة نوع من البحث المتعمق في فردية وحدة اجتماعية سواء كانت هذه الوحدة فردا أو أسرة أو قبيلة أو قرية أو نظاما أو مؤسسة اجتماعية أو غيرها.

ويقوم منهج دراسة حالة على أساس التعمق في دراسة معينة من تاريخ الوحدة، أو المؤسسة، ودراسة جميع المراحل التي مرت بهدف الوصول إلى تعميمات متعلقة بالوحدة المدروسة ولغيرها من الوحدات المتشابهة.

وقد اختلف علماء المناهج في تصنيف وتحديد طبيعة دراسة حالة فمنهم من يرى بأنه منهج قائم بذاته ، ومنهم من يعتبره وسيلة أو أداة لجمع البيانات ، ولعل الوقوف على التعاريف التي عُرف بها هذا المنهج هي من سيفصل في هذا الجدل ، فدراسة الحالة هو وسيلة فعالة وأسلوب أمثل لدراسة الظاهرة الاجتماعية بطريقة تحليلية استكشافية من مميزاته انه يرتكز على الوحدة الكلية لمعرفة .

2-6- المنهج المقارن:

يُعدُّ المنهج المقارن م أهم المناهج المستخدمة في تفسير الظواهر الاجتماعية ،فيرى العديد من الكتاب أن المنهج المقارن ربما كان المنهج الملائم بدقة لعلم الاجتماع وقد قال ايميل دوركايم Emil Durkheim في أهمية المنهج المقارن : " أننا إذا كنا في العلوم الطبيعية نستطيع التأكد من صدق الارتباطات السّببية بين الظواهر عن طريق التجربة فإنه من الصعب إجراء تجارب مماثلة في العلوم الاجتماعية ، ومن ثمَّ فالطريقة المتاحة لنا هي إجراء تجارب مباشرة يُتيحها لنا المنهج المقارن "،والمنهج المقارن هو أحد المناهج المستخدمة على أوسع نطاق في الكثير من التخصصات لاسيما منها العلوم الاجتماعية ، **والمقارنة لغة** : تعني الموازنة والمقايسة بين ظاهرتين أو أكثر بهدف تقرير أوجه التشابه والاختلاف فيما بينها.

وأما اصطلاحا : وفي معجم المصلحات الاجتماعية فقد عرفه أحمد زكي بدوي المنهج المقارن بأنه "تلك الطريقة للمقارنة بين مجتمعات مختلفة ،أو جماعات داخل المجتمع الواحد أو نظم اجتماعية للكشف عن أوجه الشبه والاختلاف بين الظواهر الاجتماعية وإبراز أسبابها ،وفقا لبعض المحاكاة التي تجعل هذه الظواهر قابلة للمقارنة كالنواحي التاريخية والاثنوغرافية والإحصائية ،ويمكن عن طريق هذه الدراسة المقارنة صياغة النظريات الاجتماعية **"**.

ولا تعد المقارنة حقلا معرفيا أو موضوعا للدراسة بل منهجا للبحث والتحليل ،وبالرغم من اختلاف التعاريف المقدمة للمقارنة ، وتنوعها إلا أنها تكاد تنطلق جميعها من تراث جون ستيوارت ميل John Stuart Mill الذي عرفها بأنها دراسة ظواهر متشابهة متناظرة في مجتمعات مختلفة أو هي التحليل المنظم للاختلافات في موضوع أو أكثر عبر مجتمعين أو أكثر.

ومن خلال التعريفين السابقين نستنتج أن المنهج المقارن يقوم على أساس الموازنة والمقايسة بين الظواهر الاجتماعية سواء على مستوى المكان أو الزمان أو التاريخ لكشف عن مواطن التشابه والاختلاف في هذه الظواهر.

2-7- المنهج الإحصائي:

يستخدم هذا المنهج كأداة علمية بواسطتها يتم السيطرة على مختلف جوانب موضوع البحث فهو لا يكتفي بوصف الظاهرة وإعطائها صبغة كمية، بل يتعدى إلى تحليلها ومقارنتها و قياس العلاقات بين عدد من المتغيرات التابعة التفسيرية من المتغيرات المستقلة.

فالمنهج الإحصائي هو تعبير عن معطيات الظواهر الاجتماعية و معالجتها من خلال التكميم بدلا من المعالجات القديمة، ينظر هذا المنهج للظاهرة الاجتماعية على أنها وقائع إحصائية تتسم بالتكرار و الديناميكية و تم توظيف هذا المنهج في الدراسة بغرض تحويل المعطيات و البيانات الكيفية إلى بيانات كمية، بناء جداول يتم من خلالها ربط المتغيرات ربطا تفسيريا واضحا من أجل قياس و بناء المقارنات للوصول إلى تحليل علمي و موضوعي.

كما يستخدم المنهج الإحصائي أيضا لجمع البيانات بطريقة نتائج البحث في شكل أرقام ورسومات بيانية كمية، إذ يظهر نتائج البحث في شكل أرقام ورسومات بيانية.

.